تشكيل

يتواصل بأحد فنادق غزة معرض الفنانة الفلسطينية الشابة هلين سامي معمر الذي يحمل عنوان «روح» والمتكون من 25 لوحة عكست واقع المرأة في قطاع غزة.

يقيم مكتب «اليونسكو» بالقاهرة في 12 أغسطس القادم، بمناسبة اليوم الدولي للشباب ورشة عمل مجانية في التصوير الفوتوغرافي بساقية عبدالمنعم الصاوي في القاهرة.

تتواصل إلى غاية 9 أغسطس القادم فعاليات الدورة 37 لمهرجان أصيلة الثقافي الدولي، حيث يكرم المهرجان هذا العام الفنان التشكيلي المغربي الراحل فريد بلكاهية.

ليلى كبة كعوش تتواطأ مع اللون لتشي بجماله على القماشة

● عراقية تستحضر آلهة سومر لتنثر خصبها على الحاضر ● أنوثة طاغية تضفي على اللوحة ضياءها

أوكل اللون المُشبّع بزيوت عطرية أمر كتابة سيرته الذاتية إلى الفنانة التشكيلية العراقية ليلى كبة كعوش، فعمدت منذ بدايتها الفنية الباكرة إلى أن تسرد بريشتها تكسراته واحتداماته وكل أحوال ومظاهر نبوغه على مساحة اللوحات، وذلك على مدى السنين التي تلت اتفاقية الوكالة في ما بينها وبين اللون.

❑ **بيروت** – لم تأخذ الفنانة العراقية ليلى كبة كعوش على عاتقها مهمة سرد اللون بتكسراته واحتداماته الشيقة من دون أن تفرض شروطها الخاصة الشعورية منها واللاشعورية.

فجاءت الألوان إلى لوحاتها حسب مزاجها الذي مرّ بفصول عدة ومتناقضة، وكنتيجة لتراكم تجارب فنية وحياتية اختبرتها في أماكن مختلفة من العالم.

أما البداية الفنية الباكرة التي عرفتها الفنانة العراقية، فهي تعود إلى طفولتها عندما أخذها والدها إلى معرض رسم في بغداد، يومها تأثرت بمشهد اللوحات المعلقة على الجدران وبما تكتنزه من عوالم موازية للواقع.

تقول الفنانة "أدركت منذ البداية أنني أريد أن أكون فنانة، أرسم وأختبر الأشكال الفنية حتى أصل إلى نص فنيّ يرضيني بشكل من الأشكال.. أعتبر نفسي محظوظة جدا لأنني عرفت منذ بداية حياتي ماذا أريد واستطعت أن أحقق بالمثابرة والشغف جزءا كبيرا من أحلامي".

كان الوضع في العراق مثقلا بالاضطرابات السياسية عندما انتقلت ليلى كبة، وهي لا تزال في السادسة عشرة من عمرها، إلى بريطانيا حيث يسكن أخوها. انتسبت إلى جامعة "مانشستر" وتخصصت في مجال الفنون الجميلة، ثم تابعت دراستها الفنية في أميركا بجامعة "كوركوران" في واشنطن. عادت إلى العراق لتغادره مجددا سنة 1970 إلى بريطانيا وأميركا.

كما يستحضر الإنسان صورا ذهنية عن لحظات جميلة عاشها قبل أن تأفل أنوارها، استدعت الفنانة اللون إلى لوحاتها. قبلت بسرد قصصه الشخصية شريطة أن يتواطأ معها، لتخبر، هي بدورها، ما أرادت أن تبوح به وكل ما رشح عن خيالها لا شعوريا فجعلها أكثر إدراكا لذاتها.

> ◄ خلال الأيام المثقلة بالمطر والضباب لم تركن ليلى كبة كعوش إلى كآبة الألوان الداكنة أو الباردة

خلال الأيام المثقلة بالمطر والضباب لم تركن الفنانة إلى كآبة الألوان الداكنة أو الباردة. من ينظر إلى لوحاتها التي نفذتها في تلك الفترة سيعثر على بصيص ضوء يحضّر ظهوره.

في الفترة الزمنية التي سكنت فيها الفنانة في أبوظبي أنتجت لوحات تحت تأثير تكسرات الضوء في اختراقاته المُتقطعة للرياح الرملية والأجواء الصحراوية. كان جليا انحياز الفنانة نحو أسلوب يستمد عناصره الأساسية من الحركة التكعيبية.

على أكف الرمل الأحمر وعلى وسائد الكثبان الرملية المُسخنة بنور الشمس شيّدت كعوش القلاع والمنازل المستوحاة من التراث العربي والعراقي بشكل خاص.

تقول الفنانة في ذلك إن "هذه المرحلة مهمة كثيرة بالنسبة إليّ، لأنني عدت إلى التواصل بشكل أعمق مع الخلفية الثقافية التي أنتمي إليها عاطفيا، كما أن زيارتي لمتحف يضمّ في أرجائه تراث وفنون بلاد ما بين النهرين، كانت لها أثر كبير في تطور أسلوبي الفني".

وتواصل: شعرت حينها بشكل أعمق بعظمة التاريخ، فأخذت أنهل منه ومن أساطيره وفنونه، أحضرت كتبا كثيرة عن هذه الحضارة العريقة وانغمست في قراءة تفاصيل ملحمة جلجامش.. كم أجدها اليوم تعكس ما يحصل في المنطقة العربية بشكل عام وفي العراق بشكل خاص، مثل جلجامش نريد الحياة الأبدية، صحيح أن جلجامش لقي مصرعه في النهاية، ولكنني أتمنى أن نغير في عصرنا الحديث هذا خاتمة الملحمة".

تقيم الفنانة العراقية في لبنان منذ 2005، وقد أنتجت أعمالا فنية صورت فيها مشاهد ومواضيع تركت أثرها في ذاتها. نذكر منها اللوحات التي تصور بائع البطيخ، صياد السمك، بائع الذرة، لاعبي النرد في المقاهي وغيرها من المشاهد. جاء أسلوبها منسجما مع حبها للتفاصيل وللألوان، ومكثفا لحميمية معرضة لخطر الزوال تحت وابل القلق والانشغال اليومي.

عطر الآلهة «إنانا» يحضر بقوة في لوحات ليلى كبة كعوش

لحضور المرأة– الأسطورة أهمية كبرى في لوحات ليلى كبة كعوش، خاصة حضور "إنانا" آلهة الخصب عند السومريين. مهم حضورها حتى يكاد يُعثر عليها في اللوحات الخالية منها، إذ يترنح عطرها الملون في آفاق اللوحة وأعماقها مقيما التوازن في ما بين الماضي والحاضر.

حتى في عدد كبير من اللوحات التي رسمت فيها مشاهد بيروتية، ثمة حضور ما لهذه الأنوثة الطاغية التي تحتضن المشاهد المُصورة لتمنع تلاشيها من الذاكرة، ولكن أيضا من الحاضر.

ألوان زيتية وأكريليكية، قطع من قماش، قصاصات جرائد وكلمات وحروف ورموز، وإشارات، كلها عناصر أودعها عطر "إنانا" في لوحات ليلى كبة كعوش، وخاصة في الأقسام السفلية منها حيث هبطت، وكما تقول الأسطورة السومرية، آلهة الخصوبة، لكي تعثر على حبيبها المقتول "تموز" في عالم الأموات.

تقول الفنانة العراقية إن ما يشغلها فنيا في الوقت الحالي هو الرغبة الكبيرة في التعبير "عن الرحمة وزوالها التدريجي من هذا العالم المُثقل بالكراهية والعنف". لعل الآلهة السومرية التي تسكن في خفاء لوحاتها قادرة على تلقف رغبة الفنانة، إذ من بين صفاتها الأكثر سطوة هي صفة الرحمة.. الرحمة المنقوشة في اللحم الحيّ والشاملة لكل معاني الحب الإنساني.

م.ع

منى السعودي تمنح الأمومة للأرض من صمت الحجر

فتنت النحاتة الأردنية منى السعودي بالحجر منذ صباها، فارتبطت معه بعلاقة عفوية تتجلى فيها قيم الانتماء للأرض والإنسان معا، وواصلت اشتغالها عليه حتى كادت تنطقه لكثرة المدلولات التي بات ينطوي عليها بعد أن أضحى لوحة فنية.

❑ **عمّان** – عاشت النحاتة الأردنية منى السعودي طفولتها بين المنحوتات المبعثرة في ساحة المدرج الروماني وسط مدينة عمّان، وكان بيتها جزءا من موقع "سبيل الحوريات" الأثري بأعمدته المنقوشة وأقواسه.

فلفت نظرها جمال تلك الحجارة وديمومتها رغم عوامل الزمن، وقد دفعها هذا لأن تحلم بأن تصبح نحاتة تطوّع الحجر بإزميلها، يأسرها جمال الحجر فتقبض عليه بقوة لتبثّ فيه نبض الحياة عبر تكوينات وأشكال تعيد صياغة مفردات الكون.

وما منحوتاتها التي تتوزع في حديقة منزلها وسط الأشجار والنباتات، كأنما أوجدتها الطبيعة دونما تدخّل من أحد، إلاّ شاهد حي على إبداعات فنانة صادقت الحجر فصادقها.

بعد أن أنهت دراستها الثانوية، سافرت السعودي إلى بيروت عام 1963، وتعرفت هناك على النحات ميشيل بصبوص، وأقامت أول معرض لرسومها في مقهى الصحافة، الذي كان يشكّل منتدى ثقافيا في مبنى صحيفة "النهار"، وتعرفت هناك أيضا على أعمال عدد من الفنانين والكتاب والشعراء ومنهم: أدونيس، وبول غيراغوسيان، وحليم جرداق، ونزيه خاطر، فتكوّنت لديها ثقافة واسعة في الشعر والرسم والموسيقى.

واصلت السعودي دراستها في المدرسة العليا للفنون الجميلة بباريس التي سافرت إليها في عام 1964، وكان منهج التعليم في هذه المدرسة يرتكز بشكل رئيسي على دراسة جسم الإنسان، عبر نحت ورسم الموديلات الحية والتماثيل القديمة، وعندها بدأت السعودي تكتشف العلاقة بين جسد الإنسان وجسد الأرض، فتعلمت أن الإنسان هو مركز الكون، وأنّ في جسده تكمن أسرار الحركة والتكوين ومبادئ الامتلاء والفراغ.

أنجزت السعودي أولى منحوتاتها عام 1965، وعبر ضربات الإزميل جعلت جسد المنحوتة خشنا بما يشبه منحوتات الحضارة العربية. وبعد عودتها إلى بيروت عام 1969، عملت مع أطفال المخيمات الفلسطينية، ثم واكبت مآسي الحروب رسما ونحتا، فجسّدت فكرة "أمومة الأرض"، وهو الموضوع الذي بدأت تركز عليه منذ أواسط الستينات، في تكوينات حانية أو متماسكة الأضلع ومتشابكة الأصابع.

وفي مطلع الثمانينات ولجت السعودي تجربة المنحوتات كبيرة الحجم، وأنجزت أول منحوتة بارتفاع يقارب ثلاثة أمتار وأسمتها "تنويعات على حرف النون"، وذلك بوحي من مقالة للكاتب والفنان كمال بلاطة عن كلمة "إنسان"، واختارت حرف النون لأن له خطوطا دائرية تتمحور حول نقطة، وتكونت المنحوتة من ثلاث قطع تشكل في مجملها الماضي، والحاضر، والمستقبل، في بناء عمودي.

كما أنجزت في الفترة نفسها منحوتة من الغرانيت الأزرق، أطلقت عليها اسم "النهر"، كانت عبارة عن دائرة قطرها متر ونصف المتر، وقد انطلقت في تكوين هذه المنحوتة من الشكل الدائري، ثم حفرت فيه ما يشير إلى النهر، وأضافت إليه الأجنحة.

وكان النهر في المنحوتة يرمز إلى نهر الأردن، والجناحان إلى ضفتيه، الأردن وفلسطين. ثم توالت منحوتاتها الكبيرة بعد ذلك، ومنها: "دائرة الأيام السبعة" و"هندسة الروح".

النحت يجسد الشعر

واصلت السعودي العمل على مجموعة منحوتات تتخذ أشكالا تتكرر فيها العناصر نفسها بإمكانيات تشكيل متنوعة، وجميعها مستوحاة من الماء الذي يأخذ في منحوتاتها أشكالا متنوعة، حيث يتّحد الإنسان والتاريخ، ويأخذ أحيانا خطّ جسد كما في المنحوتات المصرية. وإلى جانب تجربتها في النحت، كتبت السعودي الشعر، وفي عدد من تجاربها دمجت بين نصوصها ومنحوتاتها. وقد أصدرت مجموعتين شعريتين هما: "رؤيا أولى" و"محيط الحلم" (1993).

كما رسمت قصائد لأدونيس من ديوانه "مفرد بصيغة الجمع" (1970)، ومجموعته "رقيم البترا"، وأنجزت رسومات لقصائد عدد من الشعراء، منهم: راشد حسين، ومعين بسيسو، ومحمود درويش الذي جسّدت في أعمالها عددا من قصائده من بينها "الأرض"، و"تلك صورتها وهذا انتحار العاشق"، و"نشيد إلى الأخضر"، وذلك انطلاقا من أن العمل الفني النحتي هو تجسيد للشعر وامتداد له.

ويأتي معرض "شعر في الحجر" الذي احتضنه غاليري "لوري شبيبي" بدبي واستمر حتى متصف يوليو الجاري، في هذا السياق، إذ اشتمل على عدد من المنحوتات التي قدمت جمالية الإنسان والأمومة والطبيعة، وعلى لوحات مزجت بين النص الشعري واللون.

وكشفت منحوتاتها في هذا المعرض عن تعاملها مع الحجر بأسلوب تجريدي، وبناء علاقة من التضاد بين الصلابة والقسوة والقوة من جهة، والشاعرية والليونة والانسيابية من جهة أخرى، كما أظهرت أعمالها الأخرى وثوق العلاقة بين النحت والشعر، "فالشعر جملة صغيرة تقدم إيحاءات كبيرة، والنحت هو تجسيد للشعر".

يذكر أن أعمال منى السعودي توجد ضمن مقتنيات عدد كبير من المتاحف والمؤسسات والمراكز الفنية حول العالم، ومنها: المتحف الوطني للنساء في الفنون بواشنطن، والمتحف الوطني الأردني للفنون الجميلة، ومتحف الشارقة للفنون، ودارة الفنون – مؤسسة خالد شومان بالأردن، ومتحف سرسق في بيروت، ودار الآثار الإسلامية في الكويت، ومتحف الفن الحديث في الكويت ومعهد العالم العربي بباريس.

ما تقوله وحوش اللوحات

ميموزا العراوي

❑ يسرد الكاتب وليم غولدنغ في رواية "أمير الذباب" قصة فتيان تحطمت طائرتهم ليجدوا أنفسهم على جزيرة مهجورة. حاولوا البقاء على قيد الحياة عبر بناء هيكلية سياسية تحدد علاقتهم ببعضهم البعض، ولكنهم ما لبثوا أن انزلقوا إلى وحشية خارج التصور في انحياز تام لتفوق عنصر الشر على الخير.

تنتهي الرواية، التي تحتدم تفاصيلها حول محاولة القبض على "وحش ما"، بسلسلة من الكوارث أثارت الجدل آنذاك حول الطبيعة البشرية ومنطق الصراع على السلطة.

يقول أحد فتيان الرواية بتردد يعتريه الخوف "ربما، وأقول ربما، لا وجود لوحش على الجزيرة. ربما الوحش هو نحن". يحيلنا هذا القول، وبقوة، إلى ما تجسده الوحوش المُصورة في معظم اللوحات العربية المعاصرة.

إن ما تجسده يتخطى خطاب الشر الكامن في الذات الإنسانية. إنها تجسيد و"أنسنة" مرعبة للتحولات المؤلمة التي تعتري الكائنات البشرية في ظل فضائع الحروب المستمرة.

الفنان العربي المعاصر نادرا ما قصد عبر رسمه الوحوش والمسوخ لتجسيد القاتل، بل أراد تجسيد ضحاياه وإبراز عملية تحول أو تشوه ملامحهم تدريجيا في عين المُشاهد، كلما جدد نظرته.

ليست "وحوش الفنان" سبهان آدم، على سبيل المثال قادمة من الأساطير ولا من أقاصيص الأطفال الخرافية، بل قادمة من مستنقعات الألم المزمن. الكائن البشري في لوحاته كائن غير مكتمل. قبض عليه الفنان متلبسا بجريمة لا نهائيته.

كائن لا يكف عن التحول في كل نظرة يلقيها المشاهد عليه. يتحول في تعابير وجهه وأطرافه وألوانه. برمائي وطائر من طين، وهو في تحولاته تلك كائن عدمي يصارع الموت الذي ولد منه.

قد يكون هذا الفنان من أوائل الفنانين المعاصرين العرب الذين قوضوا ماهية الوحش في ذهن وعين المشاهد، وذلك انطلاقا من تجربته الخاصة القائمة على طفولة معذبة لازمها الفقر والمرض المستمر.

لم يزل الفنان منهمكا حتى اليوم في رصد تحولات هذه الكائنات، وقد حمل أحد معارضه عنوان "هاوي الجمال فقد صوابه". عنوان لافت هو بمثابة صدى مدوّ لما قاله يوما الفنان فرانشيسكو غويا "عندما ينام العقل، تستيقظ الوحوش".

الوحوش المتحولة في لوحات الفنانين المعاصرين العرب أيقظتها الحروب والثورات الدامية، فجعلت منها انعكاسا مخيفا لحالة الضياع والألم التي يعيشها الإنسان العربي في كل شكل من أشكال حياته.

من تلك اللوحات نذكر تلك التي رسمها فنانون كأحمد الواهيبي، ريما سلمون، حسكو حسكو، ومنيف عجاج. أما الفنان قيس سلمان فرسم مسوخا بشرية تعرت من إنسانيتها نهائيا فبدت "جلودها" حمراء كقطع اللحم المُقدد.. نازفة دون دماء نابضة دون أن توحي بالحياة.

يمكن أيضا اعتبار نهاد الترك من أهم هؤلاء الفنانين، فالهامات الغامضة التي رسمها في الأعمال الفنية التي سبقت المعرض الأخير الذي أقامه في بيروت، ليست بمسوخ متربصة بالبشر. لا بل هي تحولاتهم النفسية والجسدية في محاولة حثيثة منهم لمواجهة الواقع الذي يزداد سوادا.

أما جسد الكائن البشري المضغوط بشكل غير واقعي والذي اشتهر الفنان همام السيد به وبرسم يده المدكوكة دكا متشنجا في جيب معطفه، ليس بشكل إنسان طبيعي ممكن أن نصادفه في الشارع.

يرمق كائن همام السيد المُشاهد بنظرات زرقاء، خارقة كالسهام تحت ظل قبعة يريدها أن تكون خافية لنظراته المُدينة. الأمر مشابه بالنسبة إلى الفنان بسيم الريس الذي يصور في لوحاته أبطالا قيد التحول إلى كائنات غرائبية تذوب ألوانها تحت سيل النار.

لعل "الجدارية السورية" التي رسمها الفنان عن المأساة السورية هي الأبلغ إشارة إلى هذه القامات البشرية المفجوعة بتبدد أحلامها تحت مطرقة الظروف القاهرة.

الجسد في تلك اللوحات هو المفجوع بأحلامه التي راكمها على مدى سنين من القمع والعذاب، وهو وعاء التحولات المتأتية منها.

تحولات كابوسية تتجسد أمام المُشاهد الناظر إليها، لتقول بلسان كاتب رواية "أمير الذباب"، "ليس بمقدور الخوف مهما استشرى أن يؤذيك أكثر من الحلم".

* ناقدة من لبنان